مجلة الذاكرة EISSN :2676-1734 ISSN: 2335-125X
مجلد: 08 عدد: 01 السنة: يناير 2020 رقم العدد التسلسلي: 14

رثاء الشباب عند ابن الرومي

مقاربة في المضمون والتشكيل الفني

Lamentation of Youth in Ibn Al-Rumi Poetry

An approach to the Content and Artistic Formula

د. عبير عبد العزيز محمد السهلاوي
قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الملك فيصل
البريد الإلكتروني: emo1385@yahoo.com

تاريخ الإرسال	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2019/11/22	2019/12/02	2020/01/05

الملخص بالعربية:

ينطلق البحث من مقولة أساسية مفادها أن مرحلة الشباب من أهم المراحل في حياة الإنسان، والشعراء بما يمتلكون من حساسية شعرية هم الأقدر على رثاء هذه المرحلة من مراحل العمر، من هنا يرصد تجليات هذا الموضوع عند أبرز شعرائه في العصر العباسي، وهو الشاعر ابن الرومي، فيتوقف عند الأشكال الفنية التي برز فيها هذا النمط الخاص من الرثاء، ثم يحاول تحديد المعاني التي قدمها الشاعر، ثم يتوقف عند أبرز السمات الفنية للغة الشعرية، معتمداً المنهج الوصفي والتحليلي.

Abstract:

This research is based on a principle statement youth stage is one of the most important stages in human's life. Poets, with their own poetic sensitivity, are the best to lament such stage of life. Hence, this research deals with the manifestations of this subject for the most prominent poet in Abbasid erawho is (Ibn Al-Rumias the research deals with t hilighted such special style of lamentation) the artistic forms tha, then it trys to determine gs presented by the poetthe meanini, and then it studys themost prominent artistic features of the poetic language adopting the descriptive and analytical approach.

مصطلحات مفتاحية: رثاء، الشباب، تشكيل

مقدمة:

لا شك أن الأدب الحقيقي هو الأدب الصادر من داخل التجربة فيكون لسان النفوس، وترجماناً لما تحمله من عواطف ومشاعر، ولعل من الموضوعات الأقرب إلى ذلك تلك التي تتناول الذات البشرية بتقلباتها وأحوالها، وفعل الزمن فيها، وضمن هذا السياق يبرز غرض الرثاء عموماً الذي يعبر في معناه العام عن فقدان يولد مشاعر الأسى، سواء أكان

المفقود إنساناً عزيزاً، أم كان شيئاً ذاتياً كعمر الإنسان، مما يدفع الشاعر لرثاء نفسه، وربما كان أوجع الرثاء هو رثاء الذات الشاعرة لنفسها، عندما تشعر باقتراب الموت الذي يرسل رسائله عبر الشيب ووداع الشباب.

ينطلق البحث من مقولة أساسية، هي أن مرحلة الشباب من أهم المراحل التي يحياها الإنسان وأغناها وأجملها، وإن فقدانها يولّد، غالباً، شعوراً مأساوياً لدى الشعراء، فيجعلون من فقدان مرحلة الشباب– كما سنلاحظ– فقداناً للحياة، فيندفعون للبكاء عليها واستعادة ذكرها في نوع من رثاء الذات التي فقدت أجمل مراحل عمرها، من هنا جعل الشعراء العزاء الحقيقي للإنسان يكمن في مواساته عند فقد شبابه. وقد اخترنا ابن الرومي نموذجاً تطبيقياً لجملة من المسوغات العلمية، لعل أهمها: أن ابن الرومي يعدّ من أبرز من تناول هذا الموضوع وفصّل القول فيه، كما أنه تميز بأنه أفرد لهذا الغرض مقطوعات خاصة به، ولم يكتف بالاحتفاء به في مقدمات القصائد التي تتناول موضوعات أخرى، يُضاف إلى ذلك بروز هذا الغرض ووضوح معالمه عند الشاعر وكثرة قصائده التي تناولت هذا الغرض مقارنة مع الشعراء الآخرين الذين اعتنوا بهذا الغرض لاسيما البحتري وأبو تمام، فقد برزت عناية الشاعر بتفاصيل هذا الموضوع، فأطال في مقدماته التي تناول فيها رثاء الشباب إلى درجة منافسة الغرض الرئيسي في القصيدة، وهذا ما جعل المتلقي يتماهى مع الشاعر في تلك التفصيلات، ويتعاطف معه في موضوعه.

يسعى البحث إلى الإجابة عن جملة من الأسئلة، لعل من أبرزها:

- ما الأنماط الفنية التي ظهر من خلالها رثاء الشباب عند ابن الرومي؟
- كيف كان إحساس ابن الرومي بمرحلة الشباب؟ وكيف كانت نظرته إليه؟ وكيف كان تقبّله لمرحلة المشيب؟
- ما أبرز المعاني والدلالات التي تناولها رثاء الشباب في شعر ابن الرومي؟
- هل ثمة صفات إيجابية لمرحلة المشيب تخفف من وطأة فقدان الشباب؟
- ما أبرز الملامح المعنوية والفنية الأسلوبية التي ظهرت في شعر رثاء الشباب عند ابن الرومي؟

وسيعتمد البحث المنهج التحليلي الوصفي الذي يعنى بوصف الظاهرة الأدبية المدروسة، وتحليل سماتها الأسلوبية. أما خطة البحث، فسيقسم البحث إلى مقدمة، وتمهيد وثلاثة مباحث، نتوقف في التمهيد عند المسوغات النفسية والاجتماعية لرثاء الشباب عند ابن الرومي، ثم نتوقف عند ملامح هذا الغرض في الشعر العربي قبل ابن الرومي، وصولاً إليه.

وفي المبحث الأول نتوقف عند النمطين اللذين حضر من خلالهما شعر رثاء الشباب عند ابن الرومي، وفي المبحث الثاني نتوقف عند المعاني التي تناولها ابن الرومي في رثاء الشباب، وفي المبحث الثالث نتوقف عند الظواهر الفنية التي برزت في هذا النمط من الشعر والتي أسهمت في نقل مقولاته إلى المتلقي، ثم ختمنا البحث بأبرز النتائج التي توصلنا إليها.

تمهيد:

أولاً: المسوغات النفسية لرثاء الشباب عند ابن الرومي:

يمكن أن نتحدث، هنا، عن نوعين من المسوغات يسهمان في تشكيل الخلفية النفسية لرثاء الشباب عند ابن الرومي، النوع الأول عوامل ذاتية مُتعلّقة بالشاعر ابن الرومي ذاته، وما تعرّضت له حياته من هزّات ونكبات. والنوع الثاني عوامل موضوعية وهي سمات يشترك بها البشر جميعاً، وتتمثّل في تأثير الزمن في حياة الإنسان، وتبعات ذلك. وفيما يلي تفصيل لذلك:

1- العوامل الذاتية:

لعلّه من المفيد قبل الولوج في موضوع رثاء الشباب عند ابن الرومي أن نتوقّف عند بعض ملامح شخصيته التي يمكن أن تعيننا على تفهم طبيعة فكر الرجل، والعوامل التي أثّرت في مسيرة حياته، ولد أبو الحسن علي بن العباس بن جريج المشهور بابن الرومي سنة (221هـ)1، من أب يوناني وأم فارسية، ولكنّ الشاعر لم يكد يعرف والده، إذ يبدو أنه توفّي وهو طفل2، وعاش في أسرة متواضعة رقيقة الحال، وظلّ يعيش حياته فقيراً معوزاً في عصر كانت فيه بغداد تموج بالمتع وتزخر بالملاهي، فنصيبه من جوائز الممدوحين من الخلفاء لم يكن جزيلاً ، لندرة اتصاله بهم، فكانت مدائحه مُوجّهة إلى الولاة والأمراء الذين لم يكونوا يجزلون العطاء3.

" وقد اجتمعت أسباب كثيرة أفسدت عليه حياته وسلبته متعها وبهجتها، وأذكت في نفسه شعوره بالحزن والألم والحرمان، إذ فقد والده وهو حدث، وفقد والدته وهو شاب يافع، ولم توادعه الأيام ولا صفت له ولا أقبلت عليه، بل مضت تجرعّ حياته غُصصاً مريرة وتحيلها شقاء وبلاء لا انقطاع لهما، فقد عصف القدر بأبنائه الثلاثة واحداً تلو الآخر وتوالت فصول مأساته، فمات أخوه الوحيد، وتمت مصائبه بوفاة زوجته، فكبر عليه الخطب وقلّ العزاء"4.

لم يتزوّج ابن الرومي بعد فقده زوجته وأبنائه بل عاش منفرداً حتى مات مسموماً على يد وزير المعتضد5، سنة(283هـ) أو (284هـ)6.

يُضاف إلى النكبات السابقة التي أصابت الشاعر أنه كان يعاني من بعض الصفات الجسمية ، فقد وُصف بأنه " كان صغير الرأس مستدير أعلاه، أبيض الوجه، يخال لونه شحوب في بعض الأحيان ... وبادر إليه الصلع والشيب في شبابه. وأدركته الشيخوخة الباكرة، فاعتلّ جسمه وضعف نظره وسمعه ولم يكن قوي البنية لا في شباب و لا شيخوخة ... وكان إذا مشى اختلج في مشيته، ولاح للناظر كأنّه يدور على نفسه أو يغربل لاختلال أعصابه واضطراب أعضائه"7.

ويبدو أن الملامح السابقة وحياة الحرمان التي عاشها، " وما عرف عنه من اعتلال جسده ونفسه وحدة مزاجه هي التي أعدته لأن يكون أكبر متخصص في بكاء الشباب، بل في بكاء الحياة نفسها وحظه العاثر فيها"8. ومن هنا يمكن القول لعل ابن الرومي " أهم شاعر تفجّع على شبابه، وجزع من مشيبه... فكان بكاء الشباب هو اللون البارز في صدر قصائده، واللحن الحزين المحبب إلى نفسه، القريب إلى قلبه، ذلك اللحن الذي مضى يكثر من عزفه في فواتح قصائده بحيث غطّى على ما سواه من الألحان"9.

ومن أجل ذلك كان بكاؤه شبابه وتحسره عليه أشد التحسر صورة طبيعية لحياته المحرومة للذة العيش.

2- عوامل موضوعية:

وهي تتمثّل في الملامح النفسية والجسمية التي يفرضها الزمن، فتتولّد ثنائية الشباب والشيب، لتشكلا أهم مرحلتين مفصليتين في حياة الإنسان، فعمر الإنسان وتر مشدود بين صرخة الولادة وشهقة الموت الأخيرة، فتسير حياته_ إن شاء الله لها ذلك- بين مرحلتين أساسيتين تشكلان ثنائية ضدية، هما مرحلتا الشّباب والشّيب، " إذ تُباين إحداهما الأخرى في كثير من الجوانب إن لم يكن كلّها؛ فحياة الإنسان في مرحلة الشّباب تختلف اختلافاً كبيراً عنها في مرحلة الكبر والمشيب، ففيها يعيش الإنسان بكامل قوّته وطاقته الجسميّة والعقليّة، ويكون مُقبلا على الحياة مُخططا لها ساعيا لتحقيق ذاته، محاولا الاستمتاع بكل ما فيها من مباهج الحياة ومتعها، ولكنّ كلّ هذا يتحوّل إلى ما يناقضه تماما في مرحلة الكبر والمشيب،

الأمر الذي يُحدث تغييراً جذريّا في حياة الإنسان من جوانب عدّة :جسميّة، ونفسيّة، واجتماعية، كما يُحدث تغييراً في نظرة الإنسان وموقفه من الحياة، ما مضى منها وما هو قادم"[10].

أما مرحلة الشباب، فتشكل نقطة انطلاق الإنسان الحقيقية نحو الحياة بعد أن أنهى مرحلة الطفولة، يحثّها الأمل بالمستقبل، والتطلع إلى تحقيق الأحلام، وتعد هذه المرحلة " مرحلة تحقيق الذات، ومرحلة الحب والمرح، ومرحلة نمو الشخصية وصقلها"11. وقد ثمن الدين الإسلامي مرحلة الشباب، وألح على أهميتها في حياة الإنسان، من هنا كانت الدعوة إلى استغلال هذه الفترة من العمر خير استغلال، ونظراً لأهميتها جعل الله سبحانه وتعالى الحساب عليها من أول ما يُسأل عنه الإنسان يوم الحساب، وهذا ما يتضح في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اغتنم خمسا قبل خمس، شبابك قبل هرمك، وصحّتك قبل سقمك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك"[12].

وتمتاز مرحلة الشباب بأنها مرحلة "نمو الانفعالات وتتميز بالسيولة والعنف والتذبذب والتّناقض والقوّة والحماس والحساسيّة إلى أن تصل إلى الاستقلال والاستقرار والنّضج الانفعالي، وخلال هذه المرحلة ينمو الشّاب اجتماعيّا ويستقل ويؤكّد ذاته"[13].

" ولمّا كانت مرحلة الشّباب من أهم المراحل التي يسعى فيها الإنسان إلى تحقيق ذاته و إشباع رغباته المختلفة، و إبراز ما لديه من إمكانات وطاقات يخدم فيها نفسه ومجتمعه، فإنّها من أجمل محطّات الحياة التي يحياها الإنسان؛ إذ يشعر أنّ لديه دوراً يؤدّيه في الحياة، وأنّ له أهدافا وغايات يسعى لتحقيقها في هذه المرحلة التي تعد من أنسب مراحل عمر الإنسان التي يبحث فيها عن كلّ ما يجلب له السّعادة والمتعة، كما تعدّ من أجمل محطّات الحياة وأحبّها إلى النّفس إلى درجة أن الإنسان يتمنّى لو أنّها لا تنتهي وألا يغادرها"[14]. ولأهميتها أكرم المولى سبحانه وتعالى المؤمنين الداخلين إلى الجنة بأن يبقوا في مرحلة الشباب التي هي المرحلة الأجمل في عمر الإنسان، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: " أهل الجنّة شباب جرد مرد كحل، لا يفنى شبابهم، ولا تبلى ثيابهم"[15].

أما مرحلة الشيب، فهي النهاية الحتمية لمرحلة الشباب بكل ما تنطوي عليه من قوة وتفاؤل والانتقال إلى مرحلة الضعف والوهن والتشاؤم، وتبدأ الذات الإنسانية تشعر بفقدان أهميتها في الحياة، ويؤدي الضعف الجسمي والنفسي في هذه المرحلة تولّد مشاعر سلبية تجعل الإنسان يشعر " بدنو أجله و الإحساس بقرب النّهاية والخوف والقلق على ما تبقّى من العمر والخوف من المرض ومن الوحدة والعزلة"[16]. وتجب الإشارة إلى أنه ليس كل ما تنطوي عليه دلالات المشيب هو دلالات سلبية يائسة من الحياة، بل من ضمن دلالاتها البارزة دلالة الوقار والخبرة والاحترام، وهذه السمات تخفف من وطأة التقدم بالسن.

ثانياً: ملامح رثاء الشباب في الشعر العربي قبل ابن الرومي:

يشير الشريف المرتضى في كتابه (الشهاب في الشيب والشباب) إلى أن الشعراء الجاهليين والأمويين لم يسهبوا في وصف الشيب، ووصف ألم فقدان الشباب، يقول:

" اعلم أن الإغراق في وصف الشيب والإكثار من معانيه واستيفاء القول فيه لا يكاد يوجد في الشعر القديم، وربما ورد لهم فيه الفقرة بعد الفقرة، ... وإنما أطنب في أوصافه واستخراج دفائنه والولوج إلى شعابه الشعراء المحدثون"17، وعنى بالشعراء المحدثين أبا تمام والبحتري وابن الرومي، وهم من خصّصهم باختياراته في كتابه.

وقد ذهب المرزباني إلى أن عمرو بن قميئة هو من ابتكر هذا اللون في مقدمات القصائد، يقول: " وعمرو هو القائل يبكي شبابه، وهو أول من بكى عليه:

لا تَغبِطِ المَرءَ أَن يُقالَ لَهُ أَمسى فَلانٌ لِعُمرِهِ حَكَما

إِن يُمْسِ في خَفْضِ عَيشِهِ فَلَقَد أَخنى عَلى الوَجهِ طُولُ ما سَلِما

قَد كُنتُ في مَيعَةٍ أُسَرُّ بِها أَمنَعُ ضَيمي وَأُهبِط العُصُما

يا لَهفَ نَفسي عَلى الشَبابِ وَلَم أَفقِد بِهِ إِذ فَقَدتُهُ أَمَما "18

وما يميز رثاء الشباب في عصري ما قبل الإسلام والعصر الإسلامي، أنه " لم يكن مقدمات لقصائد طويلة، بل مقطعات نفثوا فيها آلامهم، وتمثلوا ذكرياتهم"19، من دون إسهاب أو إطالة، فهي إشارات سريعة، اشتملت على معاني عامة مشتركة كررها الشعراء، فالتقدم بالعمر وبروز الشيب في الرأس هو إعلان لموت الشباب، الذي سينجم عنه غياب قطع حبال المودة مع المرأة، وهذا ما عبّر عنه الأعشى بقوله20:

بانَت سُعادُ وَأَمسى حَبلُها رابا وَأَحدَثَ النَأيُ لي شَوقاً وَأَوصابا

وَأَجمَعَت صُرمَنا سُعدى وَهِجرَتَنا لَمّا رَأَت أَنَّ رَأسي اليَومَ قَد شابا

فغياب سعاد وسعدى هو صورة لغياب الشباب، وهذا ما يدفع الشعراء إلى التحسر على الشباب، و إظهار المواجهة الخاسرة بين الشاعر والزمن، وهذه الدلالة يمكن أن نلحظها في قول سلامة بن جندل21:

أَودى الشَبابُ حَميداً ذو التَعاجيبِ أَودى وَذَلِكَ شَأوٌ غَيرُ مَطلوبِ

وَلّى حَثيثاً وَهَذا الشَيبُ يَطلُبُهُ لَو كانَ يُدرِكُهُ رَكضُ اليَعاقيبِ

أَودى الشَبابُ الَّذي مَجدٌ عَواقِبُهُ فيهِ نَلَذُّ وَلا لَذّاتِ لِلشيبِ

فالأبيات تكشف عن مواجهة الشاعر للزمن، فكل عام يمضي من حياته يمثّل نقصاً وزيادة في عمره الذي يسير نحو نهايته، لذلك يبثّ الشاعر شكواه من ذهاب الشباب ويظهر تفجّعه عليه من خلال إلحاحه على تكرار لفظة(أودى) التي تظهر عجزه أمام الشيب والهرم.

ويقترن الحديث عن ذهاب الشباب بالحديث عن الشيب، وهذه نتيجة منطقية، فلا يشعر الإنسان بفداحة المفقود(الشباب) إلا بعد فواته وانقضائه، وهذا ما عبّر عنه المرقش الأكبر في قوله:22

فهَلْ يَرْجِعَنْ لي لِمتَّي إنْ خَضَبْتُها إلى عَهْدِها قَبْلَ المَماتِ خِضابُهَا

رأَتْ أُقْحُوانَ الشَّيْبِ فوقَ خَطِيطَةٍ إذَا مُطِرَتْ لم يَسْتَكِنَّ صُؤَابُهَا

فإنْ يُظْعِنِ الشَّيْبُ الشَّبَابَ فقد تُرَى به لِمَّتي لم يُرْمَ عنها غُرابُها

فالأبيات تصوّر الصراع بين الشيب والشباب، الذي ستكون الشيخوخة نتيجته الحتمية، ويتمثل ذاك الصراع برؤية المرأة لأقحوان الشيب، إلا أنّ الطبيعة الإنسانية النافرة من الهرم تظل تلحّ على الشاعر لإرضاء دوافعها في استشفاف معاني الحياة من مرحلة الشباب وتفرض عليه صورة حركية شخّصها في قوله: (يظعن الشيب الشباب) أو قوله (لم يرم عنها غرابها)، فهذه الانتقالات من شيب قادم إلى شباب راحل، ومن مكث سواد اللمة ومفارقتها إلى بياض الهرم، دال على الصراع المحتدم بين الشباب والشيب في نفس الشاعر، فالشيخوخة زائر ثقيل لا يترك حتى يحلّ محلّه زائر الموت23، ولذا أكثر الشعراء من البكاء على الشباب المنصرم، ولا غرابة في ذلك " فبكاء الشباب ظاهر إنسانية تتصل بالنفس في أخصّ خصائصها "24. ومن هنا حضرت دلالة النفور من المشيب، لأنه مؤذن بانقضاء مرحلة الشباب، وهذا ما عبّر عنه الشاعر عدي بن زيد عندما قال:25

نَزَلَ المشيبُ بِوَفدِهِ لا مَرحَبَا ورَأَى الشَّبابُ مَكَانَهُ فَتَجَّنبَا
ضَيفٌ بَغيضٌ لا أَرَى لي عُصرَةً مِنهُ هَرَبتُ فَلم أَجِد لي مَهرَبَا
بُدِّلتُ بِالعَيشِ اللَّذيذِ ونِعمَةِ الـ عُمرَينِ هَمّاً شاهِداً ومُغَيَّبَا
ولَقَد يُصاحِبُني الشَّبابُ فَلم أَكُن آتي بهِ إلاَّ الفَعَالَ الأَصوَبَا
ولَقَد حَفِظتُ مَكانَهُ ورَعَيتُهُ وجَعلَتُهُ مِنِّي الأَحَبَّ الأَقربَا

فالشاعر ينفر من المشيب حيث يشعر أنه قد فات الأوان وحان وقت وداع المتعة واستقبال الضعف والوهن، أما شبابه فقد كان ميدان تحقيق الذات، من خلال القدرة على العمل، فالشيب رمز الفناء، والشباب رمز الحياة والعطاء، فاستذكار صورة الشباب، هو استذكار للحياة من جديد.

ومن هنا برز في بكاء الشباب دلالات كثيرة تشير إلى الحكمة والعظة، كما نلحظ في قول بشر بن أبي خازم:26

وَكُلُّ غَضارَةٍ لَكَ مِن حَبيبٍ لَها بِكَ أَو لَهَوتَ بِهِ مَتاعُ
قَليلاً وَالشَبابُ سَحابُ ريحٍ إِذا وَلّى فَلَيسَ لَهُ اِرتِجاعُ

فالشاعر يشبه الشباب بالسحاب الذي تدفعه الريح، للعظة والاعتبار.

وسيحافظ الشعراء في العصر العباسي على كثير من دلالات رثاء الشباب التي وردت في شعر ما قبل الإسلام، ولا سيما دلالات التحسّر على الشباب، وازورار الحِسان من الشعراء، ومظاهر الضعف والوهن التي تعتري الجسد، والاقتراب من المنية، وغيرها، فهذا أبو العتاهية يبكي شبابه قائلاً:27

بَكيتُ عَلى الشَبابِ بِدَمعِ عَيني فَلَم يُغنِ البُكاءُ وَلا النَحيبُ
فَيا أَسَفا أَسِفتُ عَلى شَبابٍ نَعاهُ الشَيبُ وَالرَأسُ الخَضيبُ
عَريتُ مِنَ الشَبابِ وَكانَ غَضّاً كَما يَعرى مِنَ الوَرَقِ القَضيبُ
فَيا لَيتَ الشَبابَ يَعودُ يَوماً فَأُخبِرُهُ بِما صَنَعَ المَشيبُ

نلاحظ العاطفة المتأججة عند أبي العتاهية التي تعكس مرارة نزول الشيب، التي تؤشر إلى انقضاء أيام الشباب واليأس من عودتها.

وإلى مثل ذلك يذهب ابن المعتز الذي يحن إلى زمن الشباب، ويجعل المصيبة الحقيقية للإنسان هي مصابه بفقدان شبابه، يقول:28

هَبني حنَنتُ إلى الشَّبابِ فطَمستُ شيبي با ختضابي

ونَفَقتُ عندَ الغانيا تِ بحُليتي وجِهلن ما بِي

مَن لي بما وَقَفَ المشيـ بُ عليه من ذُلِّ الخضابِ

ولقَد تأمَّلتُ الحيا ةَ بُعَيدَ فقدانِ التَّصابي

فإذا المصيبةُ بالحَيا ةِ هيَ المصيبةُ بالشَّبابِ

والشباب دَيْنٌ يجب أن يُوفّى عند البحتري، وهنا نلحظ جنوح البحتري نحو فلسفة القضية، يقول:29

سَأَلَتني عَنِ الشَبابِ كَأَن لَم تَدرِ أَنَّ الشَبابَ قَرضٌ يُؤَدّى

لَم يَبِن عَن زَهادَةٍ مِنهُ لَكِن آنَ لِلمُستَعارِ أَن يُستَرَدّا

فالشاعر هنا يميل إلى توصيف الحالة منطقياً، أكثر من محاولة إظهار مشاعره.

وبناء على العرض السابق، يمكن أن نلحظ حضور رثاء الشباب عند أغلب الشعراء، لا سيما بعد تقدمهم في السن، وشعورهم أن المفقود جدير بالرثاء، وجدير بأن يُبكى عليه، إن الشباب الذي انقضى، ولم يعد من سبيل إلى استرجاعه، إلا بتذكر لحظاته الجميلة الهاربة كحلم جميل.

المبحث الأول: نمطا قصيدة رثاء الشباب عند ابن الرومي:

يحضر رثاء الشباب عند ابن الرومي، في نمطين رئيسيين هما: نمط مقدماتي، أي يكون موضوع رثاء الشباب في مقدمة قصيدة تهدف إلى غرض آخر، فيكون رثاء الشباب هو وسيلة تمهيدية للغرض الأساسي، إذ لاحظنا أن رثاء الشباب عند ابن الرومي كان يحضر دوماً في مقدمات قصائده المدحية، وفي هذا تمرد على عادات الشعراء السابقين الذين غالباً ما يفتتحون قصائد المديح بالنسيب أو بالوقوف على الأطلال، وفيما يلي تفصيل لذلك:

أولاً: رثاء الشباب في مقدمة بناء القصيدة:

إن بروز مقدمة رثاء الشباب هو انحياز من الشاعر للتعبير عن تجربته الذاتية، ودليل على ولعه في الابتعاد عن التقليد الذي سارت عليه القصيدة في عصور سلفت، ولعل من أبرز ما يؤكد ذلك أن ظروف عصره الحضارية والاجتماعية قد فرضت اختفاء مقدمة الفروسية، ومقدمة الظعائن ومقدمة الأطلال من شعر ابن الرومي30، وهذا دال على ثورته على التقليد، وقد عبر في غير موضع من ديوانه عن رفضه الوقوف على الأطلال، يقول31:

لم يُبكني رسمُ منزلٍ طسما بل صاحبٌ حال عهدُهُ حُلما

ويمكن أن نجمل أبرز ما لاحظناه في رثاء الشباب الذي جاء في مقدمة القصائد الطويلة بالنقاط الآتية:

1- أنها جاءت في مقدمة قصائد غرض المديح، أول ما يلاحظ على مقدماته التي بكى فيها الشباب أنها قاربت الثلاثين قصيدة، وهي كثرة لم نعهدها عند غيره من الشعراء ممن سبقوه أو عاصروه32. ومن هذه المقدمات قوله في مقدمة قصيدة يمدح فيها رجلاً من أعيان عصره أسمه صاعد بن مخلد:33

أَبَيْنَ ضُلوعي جَمْرةٌ تتوقَّدُ على ما مضى أَمْ حسرَةٌ تتجدَّدُ

خليليَّ ما بعد الشَّبابِ رَزِيَّةٌ يُجَمُّ لها ماء الشؤون ويُعْتَدُ

فلا تَلْحَيَا إن فاض دمْعٌ لفقده فَقَلَّ له بحرٌ من الدمع يُثْمَدُ

ولا تعجبا لِلْجَلْدِ يبكي فربّما تفطَّر عن عينٍ من الماء جَلْمدُ

شبابُ الفتى مجلودُه وعزاؤه فكيف وأنَّى بعده يتجلدُ

وفَقْدُ الشَّبابِ الموتُ يوجد طعْمُهُ صُراحاً وطعمُ الموتِ بالموتِ يُفْقَدُ

فهذه المقدمة، ومثيلاتها التي نرى ترثي الشباب وترى في فقده مصيبة المصائب، فتسكب الدموع مدرارة عليه، تثير سؤالاً مهماً، مفاده: كيف نسوّغ حضور رثاء الشباب، وحلول المشيب في الرأس في مقدمات المدح؟ ربما يكون ذلك من باب الاستعطاف، وإثارة الشفقة في قلب الممدوح على الشاعر، لاسيما عندما يجعل الشاعر الممدوح هو الأمل، وبالتالي هو الذي يعوّض عن شباب ضاع وانقطع، إذ يصبح الممدوح رمزاً للشباب وللحياة، بعدما انقطع الأمل والرجاء، ومن هنا نراه يقول في القصيدة المشار إليها أنفاً يقول:34

ومالي عزاء عن شبابي علمتُه سوى أنني من بعده لا أُخَلَّدُ

على أن في المأْمول من فضل صاعدٍ عزاءً جميلاً بل شباباً يُجدَّدُ

ستظهر نُعْماه عليّ فأغتدِي وغصنُ شبابي ليّنُ المتنِ أغْيَدُ

فهذه المقدمة تنقل الممدوح إلى التعاطف مع الحالة التي يعيشها الشاعر، وهي تشكّل الممهدات لجو آخر هو جو الحياة والحركة في صفات الممدوح وهذه الدلالة التي تجد عزاءها في الممدوح تتكرر عند ابن الرومي، وهي تمثل حسن التخلص من مقدمة القصيدة إلى غرضها الأساسي، كما أنها تقدّم دلالة جديدة، لا تخلو من مبالغة في المدح، مُتمثّلة في جعل الممدوح هو العزاء عن الشباب الآفل، ومنها قوله:35

ظلمتني الخطوبُ حتى كأني ليس بيني وبينها من حَسيبِ

سلبتْني سوادَ رأسِي ولكن عوّضتْني رياشَ كلِّ سليبِ

عوّضتني أخا المعالي عليّاً عِوَضٌ فيه سلوة للحَريبِ

فالممدوح يعوض عن أي مصيبة مهما كبرت، كما أن الممدوح هو رمز للشباب بعطائه، يقول:36

ولقد قلت للشباب الذي با ن قليلٌ من قاسمٍ أن يعيدَكْ

يا شبابي أبو الحسين زعيمٌ ونداه بأن تُميد مُميدَكْ

فهنا يُتحدّى الشيب بالممدوح الذي يقضي على كل ما يعكر صفو الحياة، ويعوّض المادح عن خسارته شبابه، وهذا من باب المبالغة في المدح.

2- أنها تعبير عن تجربة ذاتية، وليس عن تقليد شعري، بدليل أن بعض هذه المقدمات قد وصل إلى سبعين بيتاً، كما نلحظ في قصيدته التي يمدح فيها عبيد الله بن عبد الله، والتي جاء في مطلعها:37

صِبا من شاب مَفْرِقُهُ تَصابي وإن طلب الصِّبا والقلبُ صَابي

أعاذِلُ راضني لك شيب رأسي ولو لا ذاك أعياكِ اقتضابي

فقد نافس رثاء الشباب في مقدمة القصيدة الغرض الأساسي لها، من هنا يمكننا الظن أن رثاء الشباب عند ابن الرومي كان غرضاً مهماً لا يقل عن الغرض الأساسي للقصيدة، بل يوازيه من الناحية الفنية والجمالية. من هنا ذهب بعض الباحثين إلى عدّ مقدمات ابن الرومي تعبيراً عن نفسه، وأنه لا يهدف من وراءها التمهيد الفني بين يدي موضوعات قصائده الأساسية لتهيئة الممدوحين أو السامعين38.

وإذا كان ابن الرومي قد نظم مقدمة من سبعين بيتاً في حديث الشيب والشباب، فإن هذا العدد من الأبيات أمر يخص الشاعر نفسه، ويميزه عن شعراء عصره، ويجعله ينفرد عنهم بهذا الغرض، أي التخصص برثاء الشباب، فلكلّ من شعراء عصره تجربته المستقلة مع الشيب، ومشاعره التي تختلف عن باقي الشعراء، من هنا قد لا يرى الشاعر أن تكون مقدمة قصيدته عن الشيب كما فعل البحتري39.

وربما ذلك يشير إلى تقديم ابن الرومي لتجربته الذاتية، ومن هنا كانت هذه المقدمات زفرات موجوع على شباب ضائع، ولم تكن تقليداً أو سيراً على عرف فني، كما نلحظ عند شعراء آخرين كالمتنبي، الذي يقول مقلداً السابقين:40

وَما ماضي الشَبابِ بِمُستَرَدٍّ وَلا يَومٌ يَمُرُّ بِمُستَعادِ

مَتى لَحَظَت بَياضَ الشَيبِ عَيني فَقَد وَجَدَتهُ مِنها في السَوادِ

مَتى ما اِزدَدتُ مِن بَعدِ التَناهي فَقَد وَقَعَ اِنتِقاصي في اِزدِيادي

ولعل خلو هذه القصيدة من التجربة الذاتية مرتبط بتاريخ نظم القصيدة، فالمتنبي نظم هذه الأبيات في سنة 326 هـ، وكان عمره آنذاك ثلاثاً وعشرين عاماً، وبالتالي لم يعش بعد تجربة الشيب، فالتفصيل في رثاء الشباب وذكر المشيب عند ابن الرومي كان تعبيراً حيّاً عن حياته التي عاشها، ومن هنا حاول بعض الدارسين تفسير ظاهرة طول تلك المقدمة، فذهبوا إلى أن سبب الطول، هو سبب فني عائد إلى شغف الشاعر بتقليب المعنى الواحد على جميع الوجوه، وفي هذا يقول ابن رشيق: " وكان ابن الرومي ضنيناً بالمعاني، حريصاً عليها، يأخذ المعنى الواحد ويولده، فلا يزال يقلبه ظهراً لبطن، ويصرفه في كل وجه، وإلى كل ناحية، حتى يميته ويعلم أنه لا مطمع فيه لأحد"41.

وذهب بعضهم إلى أن سبب طول تلك المقدمة هو سبب وجداني نفسي، يتمثّل في أن الشاعر قد " وجد في هذه المقدمة متنفّساً بثّ فيه ما كان يعاني من الأحزان والحرمان ... وعلى رأسها المرأة التي فقدها بفقد شبابه"42.

3- أنها بخلاف مقدمات القصائد التقليدية، لم تكن تهدف إلى تهيئة السامع للغرض الأساسي بأبيات قليلة، بل كانت، غالباً، تعتمد على التقصيل بالمعاني، وهذا ما عبّر عنه ابن خلكان بقوله:" هو صاحب النظم العجيب، والتوليد الغريب، يغوص على المعاني النادرة فيستخرجها من مكامنها، ويبرزها في أحسن صورة، ولا يترك المعنى حتى يستوفيه إلى آخره، ولا يبقي فيه بقية"43، مما أدى إلى أن أغلب هذه المقدمات كانت طويلة قياساً إلى المقدمات التقليدية، ومن الشواهد الدالة على النزعة التفصيلية، قوله في إحدى مقدمات قصائده:44

يُذكرني الشبابَ جِنانُ عَدْن على جنبات أنهارٍ عذابِ

تُفَيِّئُ ظلَّها نفحاتُ ريحٍ تهزُّ متونَ أغصانٍ رِضابِ

إذا ماسَتْ ذوائبُها تداعت بواكي الطير فيها بانتحابِ

يُذكِّرني الشبابَ رياضُ حَزْنٍ ترنَّم بينها زُرقُ الذُّبابِ

إذا شمسُ الأصائلِ عارضَتها وقد كَرَبَتْ تَوارَى بالحجابِ

وألقتْ جُنحَ مغْربها شُعاعاً مريضاً مثل ألحاظ الكَعابِ

فالشاعر يحاول رصد كل ما تثيره في نفسه ذكرى الشباب من خلال اللازمة المتكررة (يذكرني الشباب)، إذ يمنح كل تكرار دلالة جديدة، يمزج فيها بين الطبيعة والشباب، وينوع في الصور التي تلتقي في دلالة نهائية متمثلة في إظهار الحسرة على شباب انقضى وانتهى، ولم تعد من صوره الجملة إلا تلك الماثلة في الذكريات.

4- اقتران الحديث عن رثاء الشباب بالحديث عن المشيب والهرم، ولعل السبب في ذلك يعود لأن:" الحديث عن وطأة الشيب وما يتركه من ندوب غائرة في وجدان الشاعر وحياته الراهنة لا ينفصل عن حديث الشاعر فيما أمضاه في فتوته وشبابه"45، ومن هنا يمكن القول إن الموضوعين متكاملان في التعبير عن الحياة البشرية.

ثانياً: رثاء الشباب في قصائد قصيرة خاصة(مقطعات):

وهي مجموعة من القصائد القصيرة التي تأتي على شكل مقطعات تتناول موضوعاً واحداً هو رثاء الشباب، وهذا ما يجعلها تمتاز بالوحدة العضوية فهي تعالج فكرة واحدة(الشباب والشيب)، كما تمتاز مقطعات ابن الرومي في رثاء الشباب بصدق العاطفة، فهي تعبر عن مشاعر حقيقية تجاه انقضاء الشباب، نتيجة عدم ارتباطها بغرض آخر، فهي ليست مقدمة لمديح ممدوح معين تفرض الصنعة منطقها عليها. كما تمتاز هذه المقطعات بأنّها تدور في فلك دلالتين عامتين، هما: بكاء الشباب والهلع من المشيب، والحكمة والموعظة المستفادة من انقضاء الشباب وحلول المشيب. ولملاحظة هذه السمات يمكن أن نتوقف عند نماذج دالة على ذلك، يقول في مقطوعة مؤلفة من ستة أبيات:[46]

يا شبابي وأين مني شبابي آذنتني حِبالُهُ بانقضابِ

دولةٌ يغمِرُ الزمانُ فتاها سَوَّمَتْ بالسواد سيما الشبابِ

لهف نفسي على نعيمي ولهوي تحت أفنانِهِ اللِّدانِ الرِّطابِ

ومُعَزٍّ عن الشباب مُؤسٍّ بمشيبِ اللِّدات والأترابِ

قلتُ لما انتحى يَعُدُّ أساهُ من مصابٍ شبابُهُ فمُصابِ

ليس تأسو كلومُ غيري كُلومي ما بهِ ما بهِ وما بيَ ما بي

لو تأملنا المقطوعة السابقة، فسنجد أنّها حققت وحدة موضوعية من خلال تناولها رثاء الشباب والتحسّر عليه، واقتران هذا الرثاء بحلول المشيب بالرأس، ليصل إلى نتيجة حاسمة أن المصاب الحقيقي هو المصاب بفقد الشباب، الذي لا عزاء

له، وهذه الدلالات متكررة في المقطوعات جميعها التي تناولت الشيب، كما نلحظ في قوله في مقطوعة أخرى مؤلفة من أحد عشر بيتاً:[47]

الشيب أحلم والشبيبة أظرفُ والرشد أسلم والغواية أترفُ

ذهب الشباب فبان ما لا يرتجى وأتى المشيب فجاء ما لا يصرف

سقت الشباب سجال غيث وكف يروينه وسجال دمع ذُرَّف

إننا أمام ثنائية ضدية صراعية(شباب/ شيب)، فحلول الشيب مؤشر على وداع الشباب، ذلك الوداع الذي يثير في نفس الشاعر الأسى والألم.

المبحث الثاني: مضامين رثاء الشباب عند ابن الرومي:

يقدّم لنا ابن الرومي في رثائه لشبابه جملة من المعاني والدلالات العامة التي تندرج تحتها دلالات ومضامين جزئية، وتظهر الدلالات العامة من خلال التحسّر على الشباب المنصرم، وموقف الشاعر من الضعف العام والوهن الذي أصاب جسده، وموقفه من إقصاء المجتمع له، و تيقنه من استحالة الخلود، فيكون وداع الموت مؤشراً لاقتراب المنية، ولذلك نجد الشاعر يتألم لفراق شبابه، ويبكي صباه الضائع، لأنه لا يعني له بياض شعر الرأس فحسب، وإنما يعني هجران الغواني وإدبار الحياة عنه، بعد أن كانت تسعى وراءه، من هنا ينبع ألم الشاعر، من إحساسه بالماضي، بكل جماله المفقود، وبكل لذائذه القديمة، فيكون مصدراً أساسياً **لإثارة مشاعر الحسرة والبكاء**، هذا التحّسر التي عبّر عنها في قوله:48

أبَيْنَ ضُلوعي جَمْرةٌ تتوقَّدُ على ما مضى أَمْ حسرَةٌ تتجدَّدُ

خليليَّ ما بعد الشَّبابِ رَزِيَّةٌ يُجَمُّ لها ماء الشؤون ويُعْتَدُ

فلا تَلْحَيَا إن فاض دمْعٌ لفقده فَقَلَّ له بحرٌ من الدمع يُثْمَدُ

شبابُ الفتى مجلودُه وعزاؤه فكيف وأنَّى بعده يتجلدُ

ومن هنا تحضر دلالة المفقود العظيم الذي لا يعوّض، فيصبح رثاؤه حسرة دائمة في النفس، فالشباب مرثي لا ينقطع بكاءه حتى الممات، وهذا ما عبّر عنه ابن الرومي بقوله:[49]

سأثني بآلاء الشبيبةِ باسِطاً لساني بها حتى أحينَ فأُقبَضا

فلحظة السعادة تنتهي عند انقضاء الشباب.

إن الشيخوخة تمثل " جرحاً داخلياً في نفس الشاعر، لأنها حطام المنية ونذير الموت والعمر الذي تمتنع عنه لذات الحياة، والمشاركة في حياة الناس"[50]، مع أن الآخرين يحاولون تعزية الشاعر بأن **وداع الشباب هو انتقال إلى سن النضج والرشاد:**[51]

وعزاك عن ليل الشباب معاشرٌ فقالوا نهارُ الشيب أهدى وأرشدُ

وكان نهارُ المرء أهْدَى لسعيه ولكنَّ ظلَّ الليل أنْدَى وأبردُ

وقد يعزي الشاعر نفسه عندما يحاول إقناعها بأنه قد **جنى ثمار الشباب**، وهذا ما يعوّض عن انقضائه، يقول:[52]

أمتعني دهرُها بغبطته على الذي كان فيه من قِصر

إن يطوِ لذّاتها المشيبُ فقد فضضت منها خواتم العذر

أو يذوِ أغصانَها الزمانُ فقد جنيتُ منها مَطايب الثمر

ورثاء الشباب هو رثاء **للصحة والعافية والقوة**، من هنا ركّز الشاعر في رثائه له على هذه الناحية، وهذا يدل على أن مسألة تغير لون الشعر من السواد إلى البياض ما هي إلا قناع عن ذلك، يقول ابن الرومي:[53]

أأيَّامَ لَهْوِي هل مَواضيكِ عُوَّدٌ وهل لشباب ضلَّ بالأمس مُنْشَدُ؟

أقول وقد شابتْ شَوَاتِي وَقَوَّسَتْ قناتي وأضْحَت كِدْنتي تَتَخَدَّدُ

ودبَّ كَلالٌ في عظامي أدَبَّني جَنِيبَ العصا أَنأَدُّ أو أتَأَيَّدُ

وبُورِك طرفي فالشِّخَاصُ حياله قَرَائن من أدنى مدىً وَهْيَ فُرَّدُ

ولَذَّتْ أحاديثي الرجالُ وأعرضتْ سُليمى وريَّا عن حديثي ومَهْدَدُ

وتكمن مصيبة الشاعر في أن ذهاب الشاب يعني **الوهن والضعف**، فيصبح الجسد مرمى ضعيفاً لنوائب الدهر بعد أن كان سدّاً منيعاً في مواجهتها في مرحلة الشباب، فيصبح هدفاً لسهام الزمان، يقول ابن الرومي:[54]

غدا الدهرُ يرميني فتدنو سهامُه لشخصي وأَخلِقْ أن يصيب سَواديا

وكان كرامي الليلِ يَرْمي ولا يرى فلما أضاء الشيبُ شَخْصِي رآنيا

لذلك نرى الشاعر يلحّ كثيراً على هذا المعنى، فليس **البياض والسواد** هو ما يُبكى عليه، بل **القوة والنضارة**، وهذا ما عبّر عنه ابن الرومي بقوله:[55]

إذا دام للمرء السوادُ ولم تَدُمْ غَضارتُهُ ظنَّ السوادَ خضابا

فكيف يظنُّ الشيخُ أن خضابَهُ يُظَنُّ سواداً أو يُخالُ شَبابا

ويؤرق الشاعر **هاجس صدود الغواني عنه**، وبالتالي انتقل الشاعر من لقب الحبيب، إلى لقب العم، أو الأب، عند مناداة النساء له، وإن انطوت هذه التسميات على احترام، فإنها توحي بفقدان الشباب والابتعاد عن ملاهيه، يقول ابن الرومي:[56]

أصبحتُ شيخاً له سَمْتٌ وأبَّهةٌ يدعونني البيضُ عمًّا تارة وأبا

وتلك دعوة إجلالٍ وتكرمةٍ ودَدْتُ أنِّيَ معتاض بها لَقَبا

ويقول في موضع آخر معبراً عن الفكرة ذاتها:[57]

ما أنسَ لا أنْسَ هنداً آخرَ الحِقَبِ على اختلاف صُروفِ الدهر والعُقُبِ

وعيَّرتني بشيب الرأس ضاحكةً مِن ضاحكٍ فيه أبكاني وأَضْحَكَ بي

ويتكرّر هذا المعنى دوماً في رثاء الشباب، فالحسرة على الشباب تترافق مع الحسرة على فقدان محبة النساء، يقول:[58]

لهف نفسي على العيون المِراضِ والوجوه الحسان مثل الرياضِ

حال بيني وبين أيامهن الـ بيض ما احتلَّ مفرقي من بياض

فذهاب الشباب وحلول الشيب سبب لفقدان محبة النساء، ومن هنا يصبح **فقدان الشباب هو فقدان للحياة**، ومعادل للموت، يقول:[59]

وفَقْدُ الشَّبابِ الموتُ يوجد طعْمُهُ صُراحاً وطعمُ الموتِ بالموتِ يُفْقدُ

وعبّر عن الدلالة ذاتها في قوله:[60]

ألستَ مُبشِّري في كلّ يومٍ بوشكِ ترحُّلي إثرَ الشبابِ

لقد بشّرتني بلحاقِ ماضٍ أحبَّ إليَّ من بَرْدِ الشرابِ

فلستُ مسمِّياً بُشراك نَعْياً وإن أوعدتَ نفسي بالذَّهابِ

إنّ الشاعر" لا يذرف الدموع، ولا يتوجّع على ما فات من عمره على أنه فترة زمنية سلخت منه، بل يذرف الدموع بغزارة وحرارة على ما انقضى فيه من المتع والملذات، وما أعقبه من الذبول والخمول، فالشباب عنده دوماً مقترناً باللذة والمتعة، والشيب دائماً مؤذن بانتهاء اللذة والمتعة"[61]، ومن هنا برز في شعره الشباب رمزاً للحياة، والشيب رمزاً للموت.

ويقترن رثاء الشباب عند الشاعر **بالحديث عن الشيب**، إذ إن ظهوره يعدّ الملمح المهم الدال على انقضاء الشباب، وإشارة إلى الدنو من الموت، وقد قيل: (الشيب بريد الموت)62، وهذا ما يجعل دلالة الشيب مقترنة بالغم، إذ إن الشاعر يرى في الشيب كدر الحياة، يقول:[63]

ما الشيب شيباً فإن سألت به فالشيب شَوْبُ الحياةِ بالكدر

وهذا ما يقتضي رثاء ذاك الجزء الجميل من الحياة، وهذا يترك أثراً نفسياً غائراً في نفس الشاعر، فيصبح **الشيب واعظاً وناصحاً**، حيناً، كما نلحظ في قول ابن الرومي:[64]

فدعْ شُربها إذ أصبح الرأسُ مشرقاً مُحاذرة أن يُصبحَ القلبُ مُظلما

ولا تَرَيَنْكَ السنُّ واللَّهُ والنُهى على الشيبِ والإسلامِ واللومِ مُقدِما

ويتخلّى عن هذه المهمة حيناً آخر، عندما يتشوّق الشاعر إلى الملذات فيقبل عليها، وكأنه يسرق لحظات السعادة الهاربة من عمر الزمان، يقول:[65]

الآن حين أَجَدَّ الشيبُ يَطلبُني أبادرُ الشَّيبَ باللذَّاتِ عجلانا

وهنا يبرز سؤال مهم، بماذا نبرر هذا التناقض؟ لعل ما يُبرّر ذلك، هو الاضطراب الذي تعانيه نفس الشاعر، والقلق الذي يعيشه بشعوره بدنو أجله، واقتراب الموت منه، فيظهر هذا التردد والاضطراب في الإقبال حيناً على الملذات، والإحجام حيناً آخر وترك تلك الملذات.

وتبرز دلالة **مواجهة الشيب بالخضاب**، للحفاظ على نضارة الشباب الوهمية، ولكن ابن الرومي، يحاول أن يقدّم مسوغاً لذلك بأن استعماله الخضاب ليس من باب كسب ود الغواني، وإنما هو حداد على شباب انقضى، يقول:[66]

يا حليفَ الخضاب لا تخدع النفـ س فما أنت للصِّبا بنسيبِ

ليس يجدي الخضابُ شيئاً من النفـ ـع سوى أنه حِدادُ كئيبِ

فاتَّخذْهُ على الشباب حداداً وابكِ فيه بعَبْرة ونَحيبِ

وفي موضع آخر نراه يؤكد الدلالة نفسها، فيقول:[67]

لم أخضب الشيب للغواني أبغي به عندهم ودادا

لكن خضابي على شبابي لَبِسْتُ من بعده حدادا

فلبس الحداد هو كناية لطيفة عن خضاب الشعر بالسواد، لإيجاد مسوغ لذاك الخضاب.

المبحث الثالث: السمات الأسلوبية لرثاء الشباب عند ابن الرومي:

وسنتوقف هنا عند ثلاثة ملامح أسلوبية برزت في رثاء الشباب، تظهر براعة الشاعر في تناول الموضوع، كما نلحظ في بعض الصور المبتكرة، كما تكشف عن سمة أسلوبية تكررت في رثاء الشباب، وفيما يلي تفصيل لذلك.

1- الصورة المبتكرة:

الصورة الشعرية هي " الوسيلة الفنية الجوهرية لنقل التجربة في معناها الجزئي والكلي"68. كما أنها " الشكل الفني الذي تتخذه الألفاظ و العبارات ينظمها الشاعر في سياق بياني خاص ليُعبر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكامنة في القصيدة مُستخدما طاقات اللغة و إمكاناتها في الدلالة و التركيب و الإيقاع و الحقيقة و المجاز و الترادف و التضاد و المقابلة و التجانس و غيرها من وسائل التعبير الفني"[69].

وعلى الرغم من أن لغة الندب والبكاء والتحسر على الشباب، كما لاحظنا في الأمثلة السابقة، هي التي طغت على رثاء الشباب عند ابن الرومي، فبرزت اللغة الانفعالية التي تحتفي بالعاطفة أكثر من عنايتها بالتصوير، ولكننا لا نعدم وجود صور كثيرة مُبتكرة لم ترد عند غيره من الشعراء، وهي ما جعلت ابن رشيق ينعته بأنه " أكثر المولدين اختراعاً وتوليداً"[70]، ومن تلك الصور قوله:[71]

كفى بسراجِ الشيب في الرأس هادياً إلى من أضلَّتهُ المنايا لياليا

أَمِنْ بعد إبداءِ المشيبِ مقَاتلي لرامي المنايا تحسبينيَ ناجيا

غدا الدهرُ يرميني فتدنو سهامُه لشخصي وأَخلِقْ أن يصيب سَواديا

وكان كرامي الليلِ يَرْمي ولا يرى فلما أضاء الشيبُ شَخْصِي رآنيا

فإذا كان سواد الشعر في الشباب يشبه الليل الذي يُضل من سار فيه، فإن الشيب بلون الأبيض سيصبح سراجاً منيراً في تشبيه غاية في الدقة والتعبير، وهذا السراج سيكشف مقاتل الشاعر لرامي المنايا فيصبح هدفاً واضحاً لها، ويعلق الشريف المرتضى على الأبيات بقوله: " أحسن كل الإحسان، أما البيت الأخير فإنه أبدع فيه وأغرب، وما علمتُ أنه سُبق إلى معناه، لأنه جعل الشباب كالليل الساتر على الإنسان، الحاجز بينه وبين من أراد رميه لظلمته، والشيب مبدياً لمقاتله هادياً إلى إصابته لضوئه، وبياضه، وهذا في نهاية حسن المعنى"[72].

ومن الصور الطريفة لدى ابن الرومي في رثائه للشباب، تشبيهه الشباب بالصاحب و الرفيق، ومن هنا، فإن فقدانه يخلّف أسى وحزناً، يقول:73

لم يرعَ حقَّ شَبَابٍ كان يصحبُهُ من لم يُحَبِّبْ إليه فَقْدُهُ العَطَبا

لو لم يجب حفظُهُ إلّا لأنَّ لهُ حقَّ الرضاع على إخوانه وجبا

أخي وإلفي وتربي كان مولدُنا معاً وربَّتْني الأيامُ حيث رَبَا

ثم يحدد الأسباب التي يفضل بها الشباب على الشيب، يقول:[74]

إن الشباب لمَألوفٌ لصُحْبَتِهِ تلك القديمة مَبْكيٌّ إذا ذهبا

والشيب مُسْتَوْحَشٌ منه لغربته والشيْءُ مستوحشٌ منه إذا اغتربا

و يعتمد الشاعر، أحياناً، في تشكيل صورته الطريفة على التشبيه التمثيلي القائم على تشخيص الحالة من عقد مشابهة بين صورتين، وهذا ما يمكن أن نلمحه في تصويره غزو الشيبِ الرأس، في محاولة لالتقاط صورة دالة على بداية فقدان الشباب، يقول:[75]

أولُ بدءِ المشيب واحدةٌ تُشعِل ما جاورتْ من الشعر

بينا تُرى وحدها إذ اشتعلت أرتْك نار المشيب في أُخر

مثل الحريق العظيم تبدؤهُ أولَ صولٍ صغيرةُ الشرر

فيقدم لنا الشاعر في الصورة الأول مشهد شعرة الشيب الأولى التي تغزو الرأس، فبداية اشتعال الشيب بالرأس تكون بشعرة واحدة، ثم ينتشر الشيب في أرجاء الرأس، وهذه الحالة تتشابه مع صورة الحريق الذي يبدأ بشرارة بسيطة، ثم يتحول إلى حريق واسع لا يبقي ولا يذر.

ومما يمنح الصورة عند ابن الرومي حيوية وغنى، تنويع مصادر تشكيلها، واختيار التجربة الأطرف لتوظيفها في خدمة غرضه التصويري، كما نلحظ عندما يشبه الزمن باللصّ الذي يسرق الشباب في قوله:[76]

لقد علم الدهر أن الشبا ب ثوب لدى الناس لا كالخرق

لذاك يدب خفيّاً له فيسلبه سلباً كالسَّرق

ولو كان يسلبه جهرة للاقى القنا دونه والدرَق

وحُقَّ له مع إقدامه إذا ابتز مثل الشباب الفرق

فالصورة التشبيهية في الأبيات قائمة على التشخيص، من خلال جعل الدهر لصاً يسلب الإنسان شيئاً ثميناً من دون أن يشعر، وذاك الشيء الثمين هو الشباب، واللص هنا لا يسرق ذلك جهاراً، فهو يدرك مكانة المسروق عند الإنسان، لذلك تكون السرقة خفية، اتقاء لردة الفعل عليه.

وقد يكون التجديد في الصورة من خلال طرح بعض الدلالات الجديدة، كقول ابن الرومي:[77]

وتولَّى الشبابُ فازدَدْتُ ركضاً في ميادينِ باطِلي إذ تولّى

فقد أدرك الشاعر أن الحياة بدأت تفلت من يديه بأفول شمس الشباب، فيبيح لنفسه الركض في ميادين اللهو، ولا تخفى الدلالة النفسية لقوله (فازددت ركضاً)، إنها تنطوي على محاولة يائسة للقبض على حياة الشباب، واستغلالها إلى الرمق الأخير. إن ما يمنح هذه الصورة طاقة إيحائية وتجديدية هو أنها من الصور غير المألوفة في رثاء الشباب

ويعتمد الشاعر على المقابلة في تشكيل صورته الرثائية لتصوير حالة الصراع النفسي التي تعتريه بعد فقد الشباب، يقول:78

شَعَرٌ ميتٌ لذي وَطَرٍ حي يٍ كنارِ الحريق ذات اللهيبِ

في قناعٍ من المشيبِ لَبيس ورداءٍ من الشباب قشيبِ

وأخو الشيب واللُّبانة في البِيـ ضِ بحا كفَثْلة التغبيبِ

مَعهُ صبوةُ الفتى وعلي صَرفة الشيخ فهْو في تعذيبِ

يُطبّى للصِّبا فيُدْعى مجيباً وهو يدعو وما لَه من مجيبِ

ليس تنقادُ غادةٌ لهواهُ وهو ينقادُ كانقيادِ الجَنيبِ

استخدم الشاعر أسلوب المقابلة لبيان الصراع بين المتضادين الشيب والشباب ، فالشعر المبيض هو شعر ميت، في حين أن حاجات الشباب حية متأججة في نفسه، فإذا كانت ملامحه الخارجية دالة على تقدم في السن، فإن روحه ما تزال فتية تعشق الشباب، لذاك تراه يطلب الغواني وهن يتمادين في النفور منه، من هنا يصور لنا حالة الصراع النفسي بين الشيب والشباب بحال شاة افترسها الذئب ولا زال فيها رمق من الحياة.

ولعل من أهم الوظائف التي تحققها الصور الفنية السابقة، هو قدرتها على توضيح المعنى للمتلقي، وقوتها في التأثير فيه، انفعالياً عبر دقتها في نقل المشاعر التي تدور ذهن الشاعر، وفنياً من خلال قدرتها على إدهاش المتلقي بما تمتلكه من خصوصية في تشكيل الدلالة، غير مألوفة عند غيره من الشعراء.

2- الاتكاء على الأساليب الإنشائية:

وهنا لاحظنا اتكاء الشاعر بكثرة على أسلوب الاستفهام، ثم على أسلوب النداء، والحق أن هذين الأسلوبين متناغمان مع غرض الرثاء الذي يهدف إلى إظهار الحسرة والتأسف والحيرة، و يُكثر الشاعر من الأساليب الإنشائية في مفتتح قصائده التي يرثي فيها الشباب، ولا سيما أسلوب الاستفهام، يقول:79

أتصَابٍ إلى ذوي إسعادِهْ أم تَناهٍ إلى ذوي إرْشادِهْ

وقوله:80

أبَيْنَ ضُلوعي جَمْرةٌ تتوقَّدُ على ما مضى أَمْ حسرَةٌ تتجدَّدُ

خليليَّ ما بعد الشَّبابِ رَزِيَّةٌ يُجَمُّ لها ماء الشؤون ويُعْتَدُ

وقد يرد في سياق القصيدة الرثائية، كما في قوله:81

أأيَّامَ لَهْوِي هل مَواضيكِ عُوَّدٌ وهل لشباب ضلَّ بالأمس مُنْشَدُ؟

وهنا يحضر أسلوب الاستفهام بوصفه " تعبيراً عن حيرة وجودية، لأن الرؤيا كلما ازدادت وضوحاً بما يشبه الانبهار فيزداد غموضها وإشكاليتها"[82]. كما أن " محنة الزمن المتغير تفرض على الشاعر ثقلاً نفسياً"[83]. فالاستفهام في الأبيات السابقة لا ينتظر جواباً، إنه استفهام من عرف حالته، فيأتي تساؤله تقريرياً يهدف إلى إظهار الحسرة والتفجع عليها. ولا يخرج النداء في قصيدة رثاء الشباب عند ابن الرومي عن تلك الدلالات، بل قد يأتي متناغماً مع أسلوب الاستفهام في تشكيل تلك الدلالات، كما نلحظ في قول ابن الرومي:[84]

فيا أسفَا ويا جزعَا عليه ويا حَزَنَا إلى يومِ الحسابِ

أأُفجعُ بالشباب ولا أُعزَّى لقد غَفَل المُعزِّي عن مُصابي

فيتضافر أسلوب النداء مع أسلوب الاستفهام في إظهار حالة الأسف الأسف والتفجع والحداد على شباب بات مفقوداً.

3- التكرار:

وهو من التقنيات الأسلوبية التي تناسب غرض الندب، إذ إن هذه الدلالة تقوم أساساً على التكرار الصوتي والترجيع في الكلام، ويمكن أن نتوقف عند نموذجين اشتملا على أنماط متعددة للتكرار، النموذج الأول قوله:[85]

صِبا من شاب مَفْرِقُهُ **تَصابي** وإن طلب **الصِّبا** والقلبُ **صَابي**

ألستَ مُبشِّري في كلّ يومٍ بوشكِ ترحُّلي إثرَ **الشبابِ**

سقى عهدَ **الشبيبةِ** كلُّ غيثٍ أغرَّ مُجلجلٍ داني الرَّبابِ

يذكِّرني الشبابَ صَدىً طويلٌ إلى بَرَدِ الثنايا والرُّضابِ

وشُحَّ الغانياتِ عليهِ إلّا عن ابن **شَبيبةٍ** جَوْنِ الغُرابِ

يُذكّرني الشبابَ هوانُ عَتبي وصدُّ الغانيات لدى عتابي

ولو عَتْبُ **الشَّباب** ظهيرُ عَتْبي رَجَعْنَ إليَّ بالعُتبى جوابي

يُذكّرني الشبابَ سهامُ حَتْفٍ يُصبنَ مقاتلي دون الإهابِ

ولو شهد **الشبابُ** إذاً لراحتْ وإن بها وعيشك ضِعْفَ مابي

يُذكرني الشبابَ جِنانُ عَدْن على جنبات أنهارٍ عذابِ

يُذكّرني الشبابَ رياضُ حَزْنٍ ترنَّم بينها زُرقُ الذُّبابِ

يذكرني الشبابَ سَراةُ نِهْيٍ نَميرِ الماءِ مُطَّرِد الحَبابِ

يُذكّرني الشبابَ وميضُ برقٍ وسجعُ حمامةٍ وحنينُ نابِ

تقدم لنا الأبيات السابقة نماذج مُتعددة من التكرار تضافرت في تأدية المعنى المراد وهو التحسر على الشباب وندبه، ولعل أبرز هذه الأنماط:

التكرار الاشتقاقي، من خلال تكرار الكلمات المشتقة من الجذر الواحد، كما نلحظ في كلمات(صبا، تصابي، الصبا، صابي)، ولاشك أن تكرارها في موقع واحد هو البيت الأول، قد منح البيت بعداً نغمياً منسجماً، وخافتاً في الآن ذاته، فصوت الصاد من الأصوات المهموسة. وكذلك نلحظ الكرار الاشتقاقي في من خلال تناوب تكرار لفظتي (الشبيبة والشباب)، فلاشك أن الإنسان في حالة الندب يكرر لفظة المفقود تألماً على ذاك الفقد، وإظهاراً لفداحة المصاب به.

والنمط الثاني للتكرار هو تكرار العبارة، فقد كررت عبارة (يذكرني الشباب) سبع مرات، كان يترافق كل تكرار مع دلالة جديدة، ففي كل تكرار يذكر الشاعر حالة مما تثيره في نفسه ذكرى الشباب، وهذا التكرار يعكس عمق الشكوى ونارها التي تتأجج في قلب الشاعر، وتحمل في ثناياها حسّاً مرهفاً تخالطه مشاعر الضعف والأسى على زوال شباب كان يمثّل مرحلة السعادة للشاعر، وهذا ما يحرّض الألم، وتداعي ذكريات اللذات المفقتقدة(الغانيات، القوة، جنان عدن، ...)، ولا شك أن المرأة قد احتلت مركز فعل التذكّر بسيطرتها على الدلالات المستعادة من أيام الشباب، نظراً لارتباطها بها.

والنموذج الثاني للتكرار الذي سنتوقف عنده يتمثّل في قوله:[86]

لا بِدْعَ إن **ضحك** القتيرُ فبكى **لضحكته** الكبيرُ

عاصَى العزاءُ عن الشبا ب فطاوعَ الدمعُ الغزيرُ

كيف العزاءُ عن الشبا بِ وغضنُهُ الغصنُ النضيرُ

كيف العزاءُ عن الشبا ب وعيشهُ العيشُ الغريرُ

بان الشبابُ وكان لي نِعْمَ المجاور والعشيرُ

بان الشبابُ فلا يَدٌ نحوي ولا عينٌ تشيرُ

إننا أمام ثنائية ضدية متمثلة بالطباق في قوله (ضحك، بكى) التي تُعبّر عن نفسية مهزومة أمام فقد الشباب، لذلك نراها تذهب إلى الندب، بالطريقة نفسها التي رأيناها في النموذج السابق، فيكرر الشاعر جملة الاستفهام(كيف العزاء) مرتين، ويكرر الجملة الخبرية (بان الشباب) مرتين، وفي كلا التكرارين يهدف الشاعر إلى إظهار تفجعه على المفقود، ولو تأملنا البيتين الثالث والرابع، فسنقع على نوع آخر من التكرار هو تكرار التوازي إذ إن البنية اللغوية والتركيبية للبيتين متطابقتين تماماً، وهذا يولّد إيقاعية متساوية ومتماثلة بين البيتين، تسهم في رفد النص ببنية إيقاعية تدعم حالة الندب التي تعبر عن نفس ثكلى مفجوعة.

الخاتمة والنتائج:

وفي خاتمة حديثنا عن رثاء الشباب عند ابن الرومي، يمكن أن نجمل أبرز النتائج التي توصلنا إليها وتتمثل في النقاط الآتية:

1- إن بروز مقدمة رثاء الشباب عند ابن الرومي هو انحياز من الشاعر للتعبير عن تجربته الذاتية، ودليل على ولعه في الابتعاد عن التقليد الذي سارت عليه القصيدة في عصور سلفت، وهذا دال على ثورته على التقليد.
2- برزت مقدمات رثاء الشباب في التمهيد لغرض المدح، على خلاف ماكان متعارفاً أنئذ من أن قصيدة المديح تفتت بالوقوف على الأطلال أو بالنسيب، وورد رثاء الشباب في مقدمة القصيدة المدحية ربما يكون من باب الاستعطاف، وإثارة الشفقة في قلب الممدوح على الشاعر، لاسيما عندما يجعل الشاعر الممدوح هو الأمل، وبالتالي هو الذي يعوّض عن شباب ضاع وانقطع، إذ يصبح الممدوح رمزاً للشباب وللحياة.
3- رثاء الشباب في مقدمات القصائد تعبير عن تجربة ذاتية للشاعر، وليس عن تقليد شعري، بدليل أن بعض هذه المقدمات قد وصل إلى سبعين بيتاً، كذلك اقترن الحديث عن رثاء الشباب عند ابن الرومي بالحديث عن المشيب والهرم، إذ إنهما يشكلان تجربتين عايشهما الشاعر.
4- امتازت القصائد القصيرة، أو المقطعات في شعر ابن الرومي بالوحدة العضوية، فهي تعالج فكرة واحدة(الشباب والشيب)، كما تمتاز بصدق العاطفة، فهي تعبر عن مشاعر حقيقية تجاه انقضاء الشباب، نتيجة عدم ارتباطها بغرض آخر.
5- تنوعت معاني رثاء الشباب عند ابن الرومي، لتنتقل من نعي ملذات الحياة من صحة وعافية ومحبة النساء لتصبح دلالة على الموت أو على الاقتراب من الموت.
6- طغت لغة الندب والبكاء والتحسر على رثاء الشباب عند ابن الرومي، فبرزت اللغة الانفعالية التي تحتفي بالعاطفة أكثر من عنايتها بالتصوير، ولكننا لا نعدم وجود صور كثيرة مُبتكرة لم ترد عند غيره من الشعراء، وتمنحه خصوصية في شعر رثاء الشباب.
7- لاحظنا اتكاء الشاعر بكثرة على أسلوب الاستفهام، ثم على أسلوب النداء، والحق أن هذين الأسلوبين متناغمان مع غرض الرثاء الذي يهدف إلى إظهار الحسرة والتأسف والحيرة، و يُكثر الشاعر من أسلوب الاستفهام في مفتتح قصائده التي يرثي فيها الشباب.
8- اعتمد الشاعر على تقنية التكرار اعتماداً واضحاً، وهي من التقنيات الأسلوبية التي تناسب غرض الندب، إذ إن هذه الدلالة تقوم أساساً على التكرار الصوتي والترجيع في الكلام مما يتناغم مع عاطفة الحزن والأسى والحزن التي يريد الشاعر التعبير عنها.

الهوامش:

1 – ينظر: ديوان ابن الرومي، تحقيق: حسين نصار، دار الكتب والوثائق القومية، مركز تحقيق التراث، القاهرة، ط3، 2003م: 5/1

2 – ينظر: ابن الرومي، فنه ونفسيته من خلال شعره، إيليا حاوي، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني، بيروت، 1959م: 9

3 – ينظر: ابن الرومي، عباس محمود العقاد، دار الكتاب العربي، بيروت، 1967م: 177

4 – المرجع السابق: 90، و مقدمة القصيدة العربية في العصر العباسي الثاني، حسين عطوان، دار الجيل، بيروت، ط1، 1982م: 151-152

5 – وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1970م: 3/ 361

6 – ديوان ابن الرومي: 5/1

7 – ابن الرومي، عباس محمود العقاد: 114

8 – مقدمة القصيدة العربية في العصر العباسي الثاني، حسين عطوان: 151

9 – السابق: 151

10 – الشباب والشيب في الشعر الأندلسي، دراسة موضوعية نفسية، رغدة على الزبون، مجلة دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، عمادة البحث العلمي، الجامعة الأردنية، المجلد: 42، العدد: 1، 2015م: 211

11 – التوجيه والإرشاد النفسي، حامد عبد السلام زهران، عالم الكتب، القاهرة،ط3، 1985م: 417

12 – المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: محمد أمين، مكتب المطبوعات الإسلامية، بيروت: 306/4

13 – التوجيه والإرشاد النفسي، حامد عبد السلام زهران: 418

14 – الشباب والشيب في الشعر الأندلسي، دراسة موضوعية نفسية، رغدة على الزبون: 212

15 – الجامع الصحيح،الترمذي ، تحقيق: مصطفى محسن حسين الذهبي، دار الحديث، القاهرة:4/ 390

16 – التوجيه والإرشاد النفسي، حامد عبد السلام زهران: 426

[17] – الشهاب في الشيب والشباب، الشريف المرتضى، مطبعة الجوائب، قسطنطينية، ط1، 1302ه: 2

[18] – معجم الشعراء، لأبي عبيد الله المرزباني، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، طبع دار إحياء الكتب العربية بمصر، 1960م: 4

[19] – مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي، حسين عطوان، دار المعارف بمصر، 1970م: 149

[20] – ديوان الأعشى، حققه وقدم له: فوزي عطوي، دار صعب، بيروت، 1980م: 30

[21]– ديوان سلامة بن جندل، صنعة محمد بن الحسن الأحول، تحقيق: فخر الدين قباوة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1987م: 88- 89. التعاجيب: العجائب، أودى: هلك. اليعاقيب: ذكر الحجل

[22] – الشعر والشعراء، ابن قتيبة الدينوري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر، 1966م: 1/ 211

[23] – الزمن عند الشعراء قبل الإسلام، عبد الإله الصائغ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1982م: 162

[24] – الشيب والشباب في الشعر العربي حتى نهاية العصر العباسي، عبد الرحمن محمد هيبة، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1982م:49

[25] – ديوان عدي بن زيد العبادي، تحقيق: محمد جبار المعيبد، دار الجمهورية، بغداد، 1965: 113

[26] - ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي، تحقيق: عزة حسن، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ط2، 1972م: 112

[27] - ديوان أبي العتاهية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1985م: 23

[28] – ديوان أشعار الأمير أبي العباس(ابن المعتز)، دراسة وتحقيق: محمد بديع الشريف، دار المعارف، مصر، 1977م: 382/2

[29] – ديوان البحتري، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، القاهرة، 1963م: 570/1

[30] – ينظر: مقدمة القصيدة العربية في العصر العباسي الثاني، حسين عطوان: 177

[31] – ديوان ابن الرمي: 5/ 2138

[32] – مقدمة القصيدة العربية في العصر العباسي الثاني، حسين عطوان: 153

[33] – ديوان ابن الرومي: 2/ 584–585

[34] – ديوان ابن الرومي: 2/ 588–589

[35] – السابق: 140/1. الحريب: الرجل الذي يؤخذ ماله.

[36] – السابق: 782/2

[37] – السابق:255/1

[38] – ينظر: مقدمة القصيدة العربية في العصر العباسي الثاني، حسين عطوان: 176

[39] – شعر الشيب والشباب في العصر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، أروى أحمد الشوشي، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، 1992م: 7

[40] – ديوان أبي الطيب المتنبي، بشرح العكبري، تحقيق: مصطفى السقا ورفاقه، دار المعرفة، بيروت: 1/ 356

[41] – العمدة في محاسن الشعر وآدابه، لابن رشيق القيرواني، مطبعة السعادة، مصر، ط2، 1955م: 238/2

[42] – مقدمة القصيدة العربية في العصر العباسي الثاني، حسين عطوان: 153

[43] – وفيات الأعيان وأنباء أعيان الزمان، لابن خلكان: 3/ 385

[44] – ديوان ابن الرومي: 1/ 257– 258 الحباب: جريان الماء بخطوط متشابكة. حصباء: الحصى الصغار. هجان: بيضاء. ذفر: طيب الرائحة. رسيس المس: لين الهبوب. ريا: الريح الطيبة. الخزامى: نبت طيب الرائحة.

[45] – الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، باديس فوغالي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2008م: 147

[46] – ديوان ابن الرومي: 334/1–335

[47] – السابق: 4/ 1585

[48] – السابق: 584/2– 585

[49] – السابق: 4/ 1384

[50] – الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام، عبد الإله الصائغ: 158

[51] – ديوان ابن الرومي: 586/2

[52] – السابق: 1034/3

[53] – السابق: 2/ 586. شواتي: جلدة رأسي، الكدية: اللحم الكثير. تتخدد: تهزل. أنأد: تأتيني الدواهي. أتأيد: أتشرد.

[54] – السابق: 6/ 2645

[55] – السابق: 243/1

[56] – السابق: 1/ 316

[57] – السابق: 1/ 189– 190

[58] – السابق: 4/ 1387– 1388

[59] – السابق: 2/ 585

[60] – السابق: 1/ 256

[61] – مقدمة القصيدة العربية في العصر العباسي الثاني، حسين عطوان:: 153–154

[62] – ينسب القول للحجاج، ينظر: اللطائف والظرائف، أبو نصر المقدسي، المطبعة الوهبية، القاهرة، 1878م: 101

[63] – ديوان ابن الرومي: 3/ 1034

[64] – السابق: 6/ 2254

[65] – السابق: 2240/6

[66] – السابق: 139/1

[67] – السابق: 807/2

[68] – النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال، دار العودة، بيروت، 1986م: 442

[69] – الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، عبد القادر القط، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط2، 1981م: 391

[70] – العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني: 188/1

[71] – ديوان ابن الرومي: 2645/6

[72] – أمالي المرتضى، غرر الفوائد ودرر القلائد، للشريف المرتضى، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط1، 1954م: 1/ 239–240

[73] – ديوان ابن الرومي: 1/ 337

[74] – السابق: 1/ 338

[75] – السابق: 3/ 1034

[76] – السابق: 4/ 1685

[77] - السابق: 5/ 1893

[78] – السابق: 1/ 140 وطر: غرض أو حاجة، لبيس: الثوب قد أكثر لبسه، فأخلق، التغبيب: غبب الذئب على الغنم إذا شدّ عليها، والتغبيب أن يدعها وبها شيء من الحياة، قشيب: جديد، يُطبّى: يدعى، الجنيب الذي ينقاد.

[79] – السابق: 2/ 706

[80] – السابق: 2/ 584

[81] – السابق: 2/ 586

[82] – الإنسان والزمان في الشعر الجاهلي، حسني عبد الجليل يوسف، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1988م: 37

[83] – اللغة الشعرية في الخطاب النقدي العربي، محمد رضا المبارك، :183دار الرشيد الثقافية، بغداد، ط1، 1993م: 183

[84] – ديوان ابن الرومي: 1/ 258

[85] – السابق: 1/ 255

[86] – ديوان ابن الرومي:3/ 897

المصادر والمراجع:

أمالي المرتضى، غرر الفوائد ودرر القلائد، للشريف المرتضى، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط1، 1954م

الإنسان والزمان في الشعر الجاهلي، حسني عبد الجليل يوسف، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1988م

الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، عبد القادر القط، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط2، 1981م

التوجيه والإرشاد النفسي، حامد عبد السلام زهران، عالم الكتب، القاهرة،ط3، 1985م

الجامع الصحيح،الترمذي ، تحقيق: مصطفى محسن حسين الذهبي، دار الحديث، القاهرة

ديوان أشعار الأمير أبي العباس(ابن المعتز)، دراسة وتحقيق: محمد بديع الشريف، دار المعارف، مصر، 1977م

ديوان الأعشى، حققه وقدم له: فوزي عطوي، دار صعب، بيروت، 1980م

ديوان البحتري، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، القاهرة، 1963م

ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي، تحقيق: عزة حسن، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ط2، 1972م

ديوان ابن الرومي، تحقيق: حسين نصار، دار الكتب والوثائق القومية، مركز تحقيق التراث، القاهرة، ط3، 2003م

ديوان سلامة بن جندل، صنعة محمد بن الحسن الأحول، تحقيق: فخر الدين قباوة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1987م
ديوان أبي الطيب المتنبي، بشرح العكبري، تحقيق: مصطفى السقا ورفاقه، دار المعرفة، بيروت
ديوان أبي العتاهية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1985م
ديوان عدي بن زيد العبادي، تحقيق: محمد جبار المعبيد، دار الجمهورية، بغداد، 1965م
ابن الرومي، عباس محمود العقاد، دار الكتاب العربي، بيروت، 1967م

ابن الرومي، فنه ونفسيته من خلال شعره، إيليا حاوي، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني، بيروت، 1959م
الزمن عند الشعراء قبل الإسلام، عبد الإله الصائغ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1982م
الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، باديس فوغالي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2008م
الشباب والشيب في الشعر الأندلسي، دراسة موضوعية نفسية، رغدة على الزبون، مجلة دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، عمادة البحث العلمي، الجامعة الأردنية، المجلد: 42، العدد: 1، 2015م

شعر الشيب والشباب في العصر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، أروى أحمد الشوشي، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، 1992م

الشعر والشعراء، ابن قتيبة الدينوري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر، 1966م

الشهاب في الشيب والشباب، الشريف المرتضى، مطبعة الجوائب، قسطنطينية، ط1، 1302هـ

الشيب والشباب في الشعر العربي حتى نهاية العصر العباسي، عبد الرحمن محمد هيبة، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1982م

العمدة في محاسن الشعر وآدابه، لابن رشيق القيرواني، مطبعة السعادة، مصر، ط2، 1955م

اللطائف والظرائف، أبو نصر المقدسي، المطبعة الوهبية، القاهرة، 1878م

اللغة الشعرية في الخطاب النقدي العربي، محمد رضا المبارك، :183دار الرشيد الثقافية، بغداد، ط1، 1993م

المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: محمد أمين، مكتب المطبوعات الإسلامية، بيروت

معجم الشعراء، لأبي عبيد الله المرزباني، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، طبع دار إحياء الكتب العربية بمصر، 1960م

مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي، حسين عطوان، دار المعارف بمصر، 1970م
مقدمة القصيدة العربية في العصر العباسي الثاني، حسين عطوان، دار الجيل، بيروت، ط1، 1982م

النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال، دار العودة، بيروت، 1986م

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1970م